سلسلة

اللهم قوِّ إيمانى

[٢]

هاتف

تأليف : د. على راشد

ريشة : أسامه أحمد نجيب

دار الفكر العربى

فى صباح أحد أيام الربيع دخل المحاسب بيومى أفندى على الحاج سيد الفيومى فى مكتبه العتيق داخل «شركة الفيومى وأولاده للأقمشة والمنيفاتورة» بحى الغورية التجارى فى منطقة الأزهر الشريف فى وسط مدينة القاهرة .. دخل بيومى وفى صحبته صبىٌ نحيفُ البدن فى الثانية عشرة من عمره يدعى «صابر» .. وبادر بيومى بالسلام:

- السلام عليكم يا حاج سيد ..

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا بيومى أفندى..

قالها الحاجُ سيدٌ بلستبشار كعادته .. وفى حديث أقربَ إلى الهمس قدّم بيومى الصبىَ صابر للحاج:

- هذا هو الولدُ صابر عبد الحميد الذى تحدثتُ فى أمره معك بالأمس يا حاجُ سيد..

وفى عطف أبوىّ، وابتسامة حنونة استقبل الحاجُ الصبىَ اليتيم صابر..

- بسم الله ماشاء الله .. أهلاً وسهلا.. أقبل يا صابر .. أقبل يا ولدى ..

وبنظرات ملؤها القلقُ والاستبشارُ معًا تقدّم الصبىُ ببطء ليسلم على الحاج سيد قائلاً فى صوت فيه الخضوعُ والخنوع:

- خدامك صابر عبد الحميد يا عمّ الحاج ..

وعندما تلامستْ كفُّه الصغيرةُ مع كفّ الحاجّ وهو يسلّمُ عليه، انحنى الصبىُ وقبل

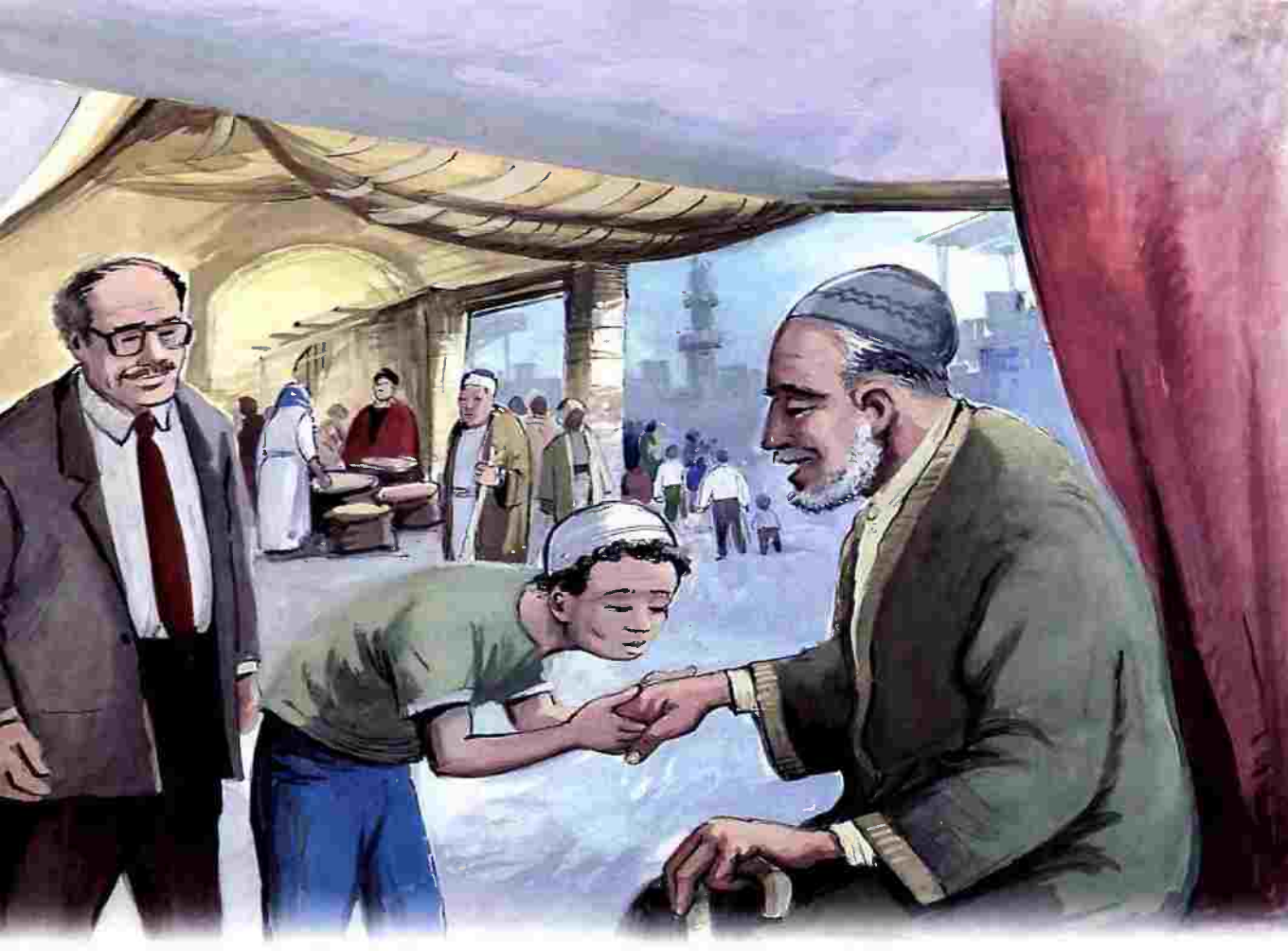

يدَهْ، وبحركةٍ لا إراديةٍ سحبَ الحاجُّ يدَهْ سريعًا قائلاً:

- أستغفرُ اللهَ يا ولدى .. أستغفرُ اللهَ ..

واسترسل بيومى أفندى فى كلامه:

- إنْ شاء اللهُ يا حاجّ: ابْننا صابر سوف يعملُ فى المخازن بدلاً منْ والده عمّ عبد الحميد رحمة الله عليه ..

فترحم الحاجّ سيّد على عامله السّابق فى المخازن، الذى وافتْه المنية منذُ فترة وجيزة.

- ألف رحمة ونور عليك يا عبد الحميد .. خدمنا أكثر منْ ثلاثين سنة، وكان نعم العاملُ المخلصُ الأمينُ .. إيه .. كان رجلاً طيبًا .. وإنْ شاء اللهُ تسيرُ على خُطاهُ يا صابر يا ولدى ..

وفرّتْ دمعةٌ ساخنةٌ منْ مُقلة الصبىّ وهُو يُردّدُ:

- إنْ شاء اللهُ يا عمّ الحاجّ .. إنْ شاء اللهُ ..

وأكمل الحاجّ:

- خُذهُ يا بيُّومى أفندى وانْهبْ به إلى سليم فى المخازن، واطْلُبْ منْهُ أنْ يترفّق به ويوضّح لهُ عملهُ فى المخازن، واصْرفْ لهُ راتب شهْر مُقدّمًا ليدبّر به أحواله ..

وخرج بيومى بصُحبته صابر وهُما يتمتمان بالشُّكْر والثّناء والدّعاء للحاجّ سيّد .. وتابعهُما الحاجُّ بنظراته حتّى اخْتفيا، وأعاد هذا المشْهدُ ذاكرتهُ إلى أكثر منْ نصف قرْن منَ الزّمان مضى عندما كان فى مثْل عُمر هذا الصبىّ، وقدْ جاء منْ مدينة الفيُّوم يتيم

الأَب والأُم، ولَمْ يُكمِلْ منْ مشوارِ تعليمِه سوى المرْحلةِ الابتدائيَّة، لا عائلَ لهُ، ولا يملكُ منَ الدُّنيا قوتَ يوْمِه .. وتكفلَ به أحدُ أقاربِه «حسن الرُّوبى» فربَّاهُ فى منزلِه كأَحد أولادِه، وأَخذَهُ ليعملَ معَهُ فى تجارةِ الأقمشةِ بالجملةِ والقطاعى فى حىِّ الغوريَّةِ التجارىِّ المتميِّزِ بمسحتِه الدِّينيَّةِ لمجاورتِه لمسجدِ الأزهرِ الشَّريفِ، ومسجدِ الحسيْنِ رضى اللهُ عنْهُ .. وبدأَ العملَ بحملِ بالاتِ

الأقمشة من المخازن للمحل، أو من المحل لعربات الكارو الخاصة بالزبائن وتجار التجزئة.. وتداعت صور حياة الحاج سيد أمام عينيه، فرأى نفسه يتنقل من حمل الأقمشة إلى بيعها، ومن فرط إخلاصه وأمانته فتح الله عليه أبواب أرزاقه، وصار شابا واعيا ذا خبرة بكار الأقمشة، وتزوج من الفتاة الرقيقة «بدور» بنت ربيبه «حسن الرومي» والتي تمناها كثيرا منذ أن كان صبيا يعيش مع أسرتها في بيت واحد، ورأى فيها نعم الفتاة في جمالها وخلقها ودينها وذكائها، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم ﴿الطيبون للطيبات﴾.

ويستمر تداعي صور حياته أمام عينيه، فيجد نفسه وقد رزقه الله بولد «حسام الدين» وثلاث بنات: ليلى ونادية وسلوى، واستقل بتجارته، واستطاع أن يؤجر محلا صغيرا يمارس فيه خبرته الكبيرة في تجارة الأقمشة..

وكبر الأبناء وتدرجوا في مستويات تعليمهم، حيث تخرج «حسام الدين» في كلية التجارة وأصبح ساعده الأيمن في العمل، وتخرجت ليلى في كلية الصيدلة وتزوجت من زميل لها في المهنة، وأصبح لهما صيدلية في حي الأزهر، ورزقهما الله بولد «حمادة» وبنت «سوسن». وتخرجت نادية في كلية التربية وصارت معلمة في إحدى مدارس البنات في حي «الحلمية الجديدة»، وتقدم لخطبتها أحد الأقارب وهو في مركز وظيفي مرموق. أما الابنة الصغرى سلوى فقد كانت دائما من المتفوقات في دراستها، وكانت دائما تحتل

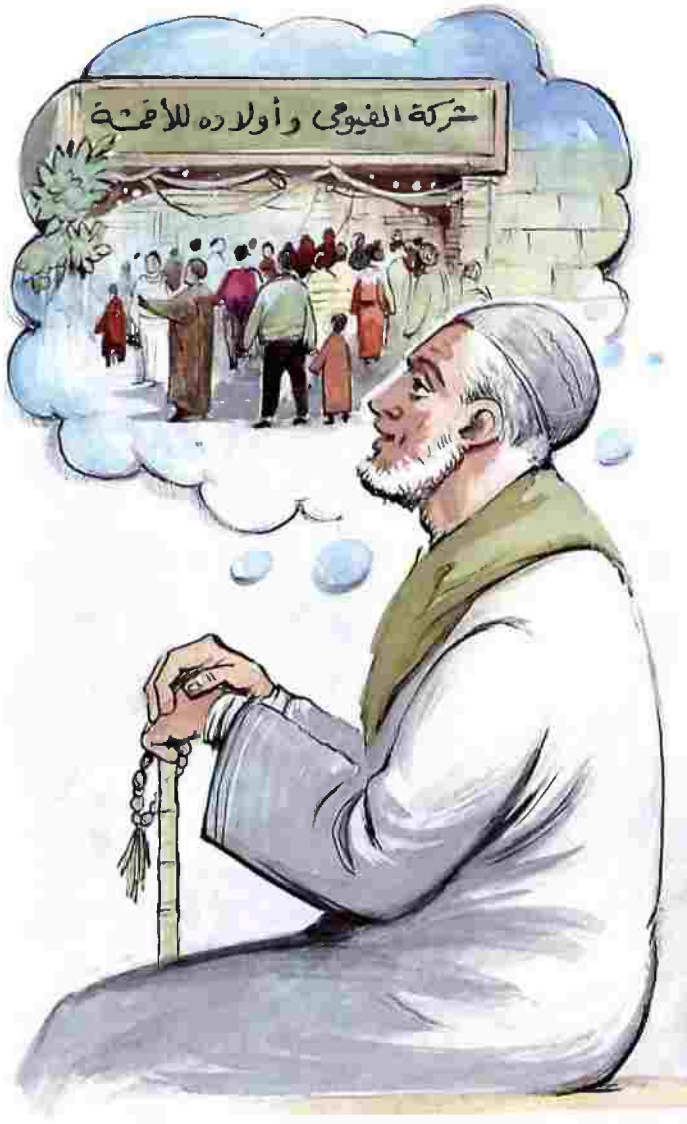

المراكز الأولى فى الشهادات العامة حتى التحقت بكلية الطب وصارت فى السنة الثالثة، وظلت على تفوقها حيث كانت تقديراتها فى كل عام لا تقل عن «امتياز».

وها هى أمهم الحبيبة «بلور» - أو «الست أم حسام» كما اعتاد أن ينادوها لجميع بهذا الاسم - تسهر على راحتهم جميعا: زوجا وأبناء وأحفادا. وجاءت الفرصة المناسبة ليشترى الحاج سيد الفيومى محلا كبيرا فى نفس حى الغورية، ويعد من أكبر محلات الأقمشة، وصار الحاج مع مرور الزمن من أكبر التجار فى هذا المجال، وحافظ دائما على استقامته وخلقه ودينه، فهو يصلى الفروض الخمسة فى مواعيدها، ويزكى عن أمواله، ويتصدق دائما على الفقراء

والمحتاجين، ويحجّ عامًا، ويؤدّى العُمرةَ عامًا، ويَصُومُ كُلَّ إثْنين وَخميس فى كُلِّ أسبوع، ويُراعى اللهَ عزَّ وجلَّ فى كُلِّ مُعاملاته وعلاقاته، وكأنّما حيزَتْ لهُ الدُّنيا وما فيها، وأقْبلَتْ عليه الدُّنيا منْ كُلِّ أبوابها رغْمَ أنَّ وجْهتَهُ كانتْ بالدَّرجةِ الأُولى للآخرةِ وسَعى لَها سعْيَها..

وهُنا عادَ الحاجُّ سَيِّد منْ رحْلَةِ ذكرياته ورفَعَ يدهُ اليُمْنى إلى شفَتيه ليُقبّلَها منَ النّاحيَتيْن وهُوَ يُتمتمُ: الحمدُ للّه ربِّ العالمينَ .. أحمدُكَ وأشكرُ فضْلَكَ يا ربّى، اللّهُمَّ أدِمْ علَينا هذهِ النّعَمَ واحْفظْها منَ الزّوال ..

ولأنَّ دوامَ الأحْوالِ منَ المحال، ولأنَّ الزّمَنَ كما عوّدَنا لا يَسيرُ علَى وتيرةٍ واحدةٍ، فقدْ وقَعَ للحاجِّ سَيِّدِ الفيُّومى أمْرٌ أضاعَ كُلَّ سعادَته واسْتقْراره وحياته الهانئة، وحلّتْ محلَّ هذهِ السّعادةِ وذاكَ الاستقْرارِ والهَناءِ - التّعاسةُ، والشّقاءُ،

والألم، ذلك أنّ الحاج سيّد بدأ يشعر بآلام في أعضائه الباطنية، ولم يُعط بالاً لهذه الآلام في بداية الأمر، ولكن مع شدتها، لم يكن هناك بدٌّ من الإعلان عنها واللجوء إلى الأطباء المتخصصين - رغماً عنه، حيث إنه منذ صغره وهو لا يرغب في الذهاب إليهم إلا عند الضرورة القصوى - وذلك بعد استشارة ابنته الصغرى سلوى لأساتذتها في كلية الطب، وكعادة هذه الأحوال طلب منه فريق الأطباء المعالجين أشعة وفحوصات كاملة، وأشعة مقطعية، واستخدام المناظير الطبية الحديثة للوقوف على مرضه. وكانت رحلة تشخيصية طويلة ومؤلمة، وبعدها تأكد لفريق الأطباء هذا دون أدنى شك أنّ الحاج سيّد مصاب بحالة متقدمة من مرض «سرطان القولون»، وأنّ حياته في خطر حقيقي.

وزلزلت هذه النتيجة المروّعة حياة الحاج سيّد وجميع أفراد عائلته والأقارب والأصدقاء، وكلّ من يعمل عنده، وللتأكد من صحة هذا التشخيص، وأيضاً من خلال استشارة ابنته سلوى لأساتذتها في كلية الطب، تمّ عمل فحوصات وأشعات ومناظير طبية من خلال فريق عمل آخر من الأطباء الاستشاريين على أعلى درجة من الخبرة.

وجاءت النتائج جميعها تؤيد تشخيص الحالة: سرطان في القولون على درجة متقدمة وخطرة.

ودارت الدنيا بالحاج سيّد، وظهرت آثار المرض على قسمات وجهه، وتدهورت صحته بشكل ملحوظ، وبات قليل الكلام، كثير التفكير، وكأنّ كلّ ما بذله من جهود طوال حياته

لا معنى لها. فكل هذه الملايين التى جمعها بعرقه وكفاحه لا تستطيع أن تمحو ما يعانيه من مرض بدنى، وآلام نفسية .. وها هو سوف يرحل قريبا عن هذه الدنيا تاركا أهله وأحباءه وأمواله وتجارته، ويمضى فى طريق اللا عودة، لا يدرى ماذا سيكون حسابه فى آخرته ..

وحاولت رفيقة دربه وحياته المؤمنة الصابرة أن تخفف عنه فى محنته، وأن تمده بالأمل والثقة بالنفس. فالشافى هو الله، وهو القادر على أن يعفيه من هذا المرض بحق كل الأعمال الصالحة التى قام بها طوال حياته. وكانت تبتسم فى وجهه وقلبها يتمزق فى داخلها على رفيق وشريك حياتها الذى غمرها بعطفه وحنانه طوال مشوار حياتهما معا .. وكانت دائما تدعو قائلة: اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه.

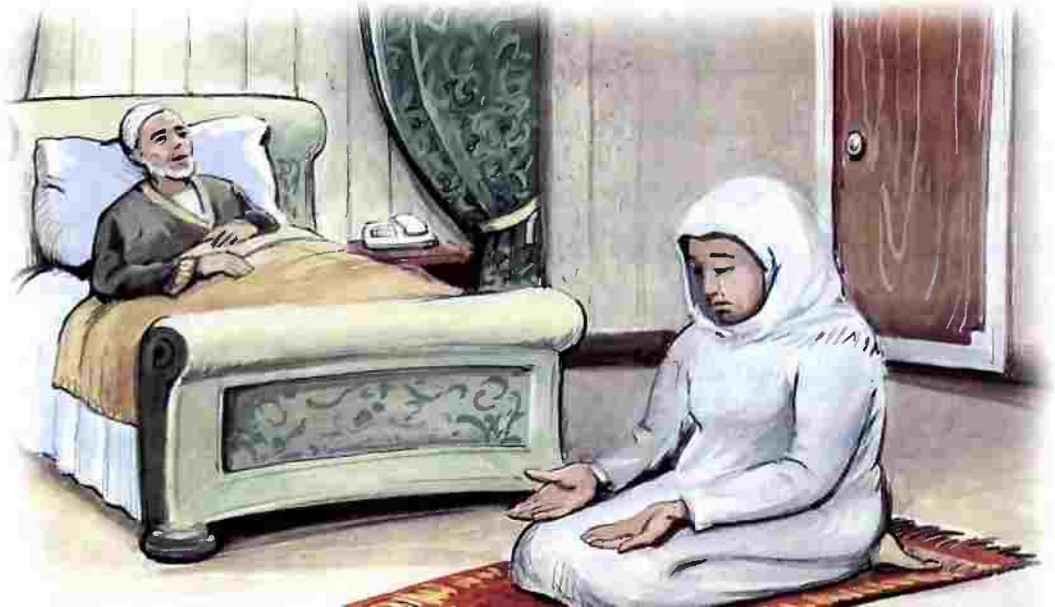

واستسلم الحاجّ سيد لقضاء الله وقدره، واستعدّ ليوم رحيله، واطمأنّت نفسه بهذا الاستسلام فالموت حقّ على كلّ العباد، فكلّ نفس ذائقة الموت، فلا مفرّ منه .. وأصبح يردّد الآية الكريمة: «والآخرة خيرٌ وأبقى»، وحمد الله على كلّ ما قدّمه في حياته من طاعة لله عزّ وجلّ، ومن عمل وكفاح السنين الطويلة، وأنّه سيترك زوجته الحبيبة «بدور» وأبناءه حسام الدين وليلى ونادية وسلوى، وأحفاده حماده وسوسن في بحبوحة من العيش لا ينقصهم شيء من أمور الحياة، ورسم الرضا على وجهه ابتسامة نحيلة، تختفي أحيانا عندما يلمح تلك الدموع التي تتأرجح في عيون زوجته أو إحدى بناته ..

وفي مساء أحد الأيام أقبلت سلوى - طالبة الطبّ - على أبيها مبتسمة مستبشرة قائلة: خبرٌ عظيمٌ يا أبي الحبيب ..

- خيرٌ إن شاء الله يا ابنتي ..

قالها الأبُ في غير حماس ..

- لقد بشّرني اليوم أستاذي الدكتور يوسف عامر ببشرى عظيمة ..

وبنفس الصوت غير المتحمس تساءل الأبُ:

- وما تلك البشرى يا سلوى؟

- لقد اتصل الدكتور يوسف بأحد أصدقائه في مستشفى «كلمنسي هوسبتال» في مدينة شيكاغو بولاية كاليفورنيا في أمريكا، وشرح له حالتك بالتفصيل، فإذا بصديقه

يبلغه أن حالات كثيرة مشابهة قد تم علاجها بعد عملية جراحية يعقبها علاج دوائي لمدة ستة أسابيع، وأن نسبة نجاح تلك العمليات تفوق ٩٠٪.

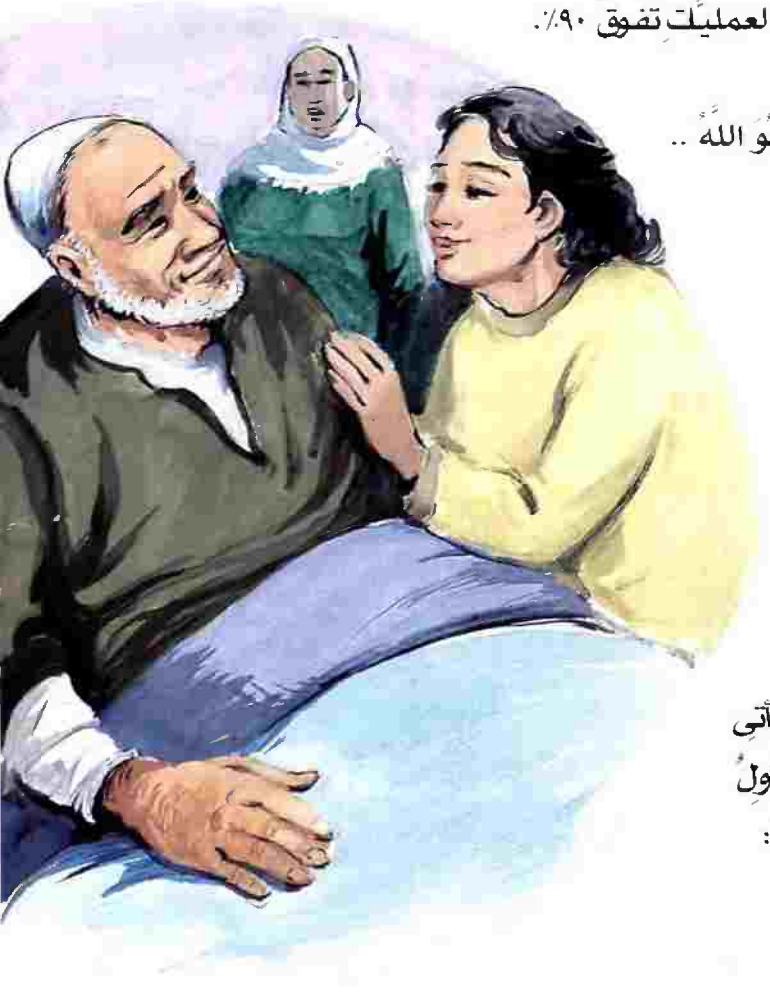

وابتسم الأب ابتسامته النحيلة ثم ردد:

- يا سلوى يا ابنتي الحبيبة .. الشافي هو الله ..

ولقد رضيت بما قسمه الله لي ولا أريد

التعلق بخيوط واهية ..

وبنفس الحماس قالت الابنة:

- ونعم بالله يا أبي .. ولكن الله

خلق الداء وخلق الدواء .. فلماذا

سنخسر لو قمنا بهذه المحاولة؟

وجاءت الأم «بدور» وقد سمعت

تحاورهما فقالت:

- إذا كان ما قالته سلوى حقيقة،

وأن علاج مثل هذه الحالات في الخارج يأتي

بالشفاء بإذن الله تعالى .. فلماذا لا نحاول

يا حاج .. وربنا سبحانه وتعالى يقول لنا:

اسع يا عبد وأنا أسعى معك ..

وبعد إلحاح من الزوجة والأبناء اقتنع الحاج سيد بالسفر للعلاج في الخارج .. وبدأت عمليات الاتصال بين فريق الأطباء المعالجين وعلى رأسهم الدكتور يوسف عامر، وفريق الأطباء بمستشفى «كلمنسي هوسبتال» وتمت الموافقات على مواعيد الحضور، وأنجز استخراج جوازات السفر للحاج سيد ونجله «حسام الدين» وتم حجز تذاكر السفر على إحدى شركات الطيران. ومرت الأيام ولم يبق على ميعاد السفر سوى يوم واحد .. وكعادته ركب الحاج سيد سيارته الفارهة وذهب ليشتري بنفسه لوازم بيته، وعند محل الجزارة الذي يتعامل معه لقرابة من ربع قرن من الزمان، طلب من المعلم «برعي» كميات غير معتادة من اللحوم ذات الأصناف المتنوعة، وعندما استفسر «برعي» عن سر ذلك، أوضح له الحاج سيد أنه على سفر، وقد تطول الغيبة بعض الوقت، فرد برعي قائلا:

- تروح وتيجي بالسلامة يا حاج ..

وفي أثناء تجهيز المعلم «برعي» لطلبات الحاج سيد من أصناف اللحوم، دخلت على استحياء امرأة نحيفة القوام، في الخمسين من عمرها، ترتدي ثوبا رثا قديما أسود اللون، وعلى رأسها طرحة سوداء قديمة، وقد ترك الفقر على قسمات وجهها بصماته الواضحة. وما أن رآها المعلم «برعي» حتى بادرها قائلا:

- انتظري قليلا على باب المحل ..

ورق قلب الحاج سيد من منظر هذه المرأة الفقيرة، ومن باب الفضول استفسر عنها المعلم برعى بصوت خافض، فأخبره بأنها أرملة تعول خمسة من الأيتام، وأنها تأتى لمحل الجزارة مرة أو مرتين كل شهر لتأخذ بعض العظم وبعض الدهن وغير ذلك مجانا، فى محاولة لتوفير الحد الأدنى من هذا الصنف من الأطعمة لأولادها اليتامى حيث لا طاقة لها بشراء الجيد من اللحوم..

وتأثر الحاج سيد أيما تأثر من حالة هذه الأرملة التى تتحايل على الفقر بإراقة ماء وجهها، واقتحمت رأسه فكرة قام بتنفيذها فى الحال. فنادى بصوت خافض على المعلم برعى:

- معلم برعى .. اترك ما بيدك الآن .. وتعال ..

فهش برعى، ولكنه نفذ سريعا أمر الحاج، واقترب منه قائلا:

- خيرا يا حاج ..

فسأله الحاج سيد سؤالا غير متوقع:

- السنة الواحدة تشمل كم أسبوعا؟

وأربك السؤال المفاجئ برعى الجزار، وأخذ يتمتم مثل تلميذ فاجأه المعلم بسؤال محير:

- السنة فيها كم أسبوع يا برعى .. السنة فيها كم أسبوع يا برعى .. (ثم ابتسم) عرفتها يا حاج .. السنة ٥٢ أسبوعا ..

فقال الحاج: عظام عليك يا برعى ..

وسعد برعى بهذا الإطراء، ثم استمر الحاج فى تساؤلاته الغريبة:

- فماذا عن عدد أسابيع سنتين كاملتين؟

وابتسم برعى لسهولة السؤال هذه المرة قائلا:

-لأ .. دى بسيطة يا حاج .. اثنان فى ٥٢ يكون الناتج ١٠٤ أسابيع يا حاج ..

واستمر الحاج فى تساؤلاته:

-ولو كل أسبوع من هذه الأسابيع أخذ منك ٢ كيلو جرام من اللحم الممتاز كم من الكيلوجرامات من اللحم يأخذ منك فى السنتين؟

-دى كمان بسيطة يا حاج .. اثنان فى ١٠٤ أسابيع تكون النتيجة ٢٠٨ كيلوجرام.

-وإذا كان كيلو اللحم الممتاز بـ ٢٠ جنيها، فكم ثمن هذه الكمية من اللحوم؟

-لا يا حاج .. دى تحتاج إلى ورقة وقلم ..

وأمسك برعى بالقلم والورقة وأخذ يحسب

حاصل ضرب ٢٠ فى ٢٠٨ ثم أجاب:

-يبقى المبلغ كله يا حاج (٤١٦٠) جنيها..

وإذا بالحاج سيد يخرج من جيبه حافظته المالية، ويعد قيمة المبلغ ويعطيه لبرعى قائلا:

-هذا هو المبلغ يا معلم برعى (٤١٦٠) جنيها.

وبنفس الدهشة قال برعى:

-لم أعد أفهم يا حاج .. ماذا تريد من كل هذا؟

فأجاب الحاجّ موضحًا فكرته لبرعي:

- اسمع يا معلم برعي، كل أسبوع ولمدة سنتين كاملتين تعطى هذه الأرملة الفقيرة ٢ كيلوجرام من اللحم الممتاز..

وهنا انفرجت أسارير المعلم برعي بعد أن فهم مقصد الحاجّ سيد الفيومي وابتسم ابتسامة كبيرة قائلاً:

- الله يبارك لك يا حاج سيد في صحتك وأولادك، وفي كل ما أعطاك الله ..

ثم نادى بفرحة على المرأة الفقيرة التي تقف على استحياء على باب المحل في انتظار تموين العظم الشهري، ودون أن تسمع شيئًا من التحاور.

- تعالي يا أم إبراهيم تعالي ..

ودخلت المرأة في بطء واستحياء إلى محل الجزارة وهي تطمع في كثير من العظم وقليل من الدهن قائلة:

- نعم يا معلم برعي ..

وبنفس الفرحة بادرها برعي ليزف إليها الخبر المفاجئ:

- الحاج سيد الفيومي أكبر تاجر قماش في الغورية دفع لي الآن ٤١٦٠ جنيها وده ثمن ٢ كيلو جرام لحم ممتاز أسبوعيا لمدة سنتين كاملتين..

وهشت المرأة الفقيرة من هذه المنحة الكريمة، وكأنها لم تصدق أذنيها وهي تسمع المعلم برعي، وكل ما استطاعت أن تفعله هو أن أسرعت إلى الحاج سيد وأمسكت يده تقبلها وهي تقول في امتنان وتقدير:

- الله يبارك لك يا حاج .. ربنا يكفيك شر المرض .. ربنا يخلي لك أولادك ..

وسحب الحاجّ سيّد يده من يد المرأة قائلا:

- أستغفر الله .. أستغفر الله .. اسمعى يا ست أم إبراهيم .. كل يوم أربعاء .. بدءا من اليوم تأتى للمعلم برعى وتأخذى اثنين كيلو جرام من أفضل أنواع اللحم ..

وانتهى هذا المشهد بتوصيل المعلم برعى لطلبات الحاج سيّد الخاصة لبيته من لحوم، مشفوعا بالدعوات المتتالية من أم إبراهيم والدموع تتساقط من عينيها سعادة وحمدا وشكرا لله تعالى الذى رقق قلب هذا الرجل الكريم لحالها ..

وفى اليوم التالى سافر الحاج سيّد الفيومى ونجله «حسام الدين» إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى رحلة علاج مصحوبا بدعوات ودموع الزوجة والأبناء والأقارب، وفور الوصول إلى ولاية كاليفورنيا من خلال مدينة شيكاغو نزل الأب والابن وفى فندق قريب

من مستشفى «كلمنسى هوسبتال» التى سيعالج فيها الحاج سيد. وبعد اتصالات هاتفية فهم «حسام الدين» من الدكتور «جيمس فيلد» رئيس قسم الجراحة بالمستشفى، وصديق الدكتور يوسف عامر أن كل شىء جاهز ومعد لاستقبال والده.

وفى صباح اليوم التالى توجه الحاج سيد - وهو يتمتم بآيات قرآنية - بصحبة نجله حسام الدين إلى المستشفى، واستقبلهما بترحيب الدكتور «جيمس فيلد» وأخذ منهما صور الأشعة ونتائج الفحوصات التى تمت فى القاهرة .. وبعد اجتماع الدكتور جيمس فيلد مع فريق عمله تقرر أن تكون العملية الجراحية - وهى استئصال الجزء المصاب من القولون - صبيحة اليوم التالى. وكالعادة طلب فريق العمل كشوف فحص وأشعة متنوعة - منها المقطعية والملونة وفوق الصوتية - وذلك لتأكيد الحالة، ومعرفة الجزء الذى سيتم استئصاله من القولون .. وفعلا تم عمل كل المطلوب من فحوصات وأشعة وخلافه ..

وكانت المفاجأة المذهلة التى أصابت الدكتور «جيمس فيلد» وفريق عمله بالدهشة والتعجب فكل الفحوصات والأشعة المختلفة ونتائج المناظير الطبية أكدت خلو جسم الحاج سيد الفيومى من هذا المرض. واجتمع فريق العمل مرة أخرى وقارنوا بين الكشوف والأشعة التى تمت فى القاهرة - من قبل خبراء ومتخصصين لا يرقى إليهم الشك - وبين تلك التى أجريت فى مستشفاهم فالأولى تؤكد على وجود المرض الخبيث بضراوة، والثانية تؤكد الخلو من هذا المرض.

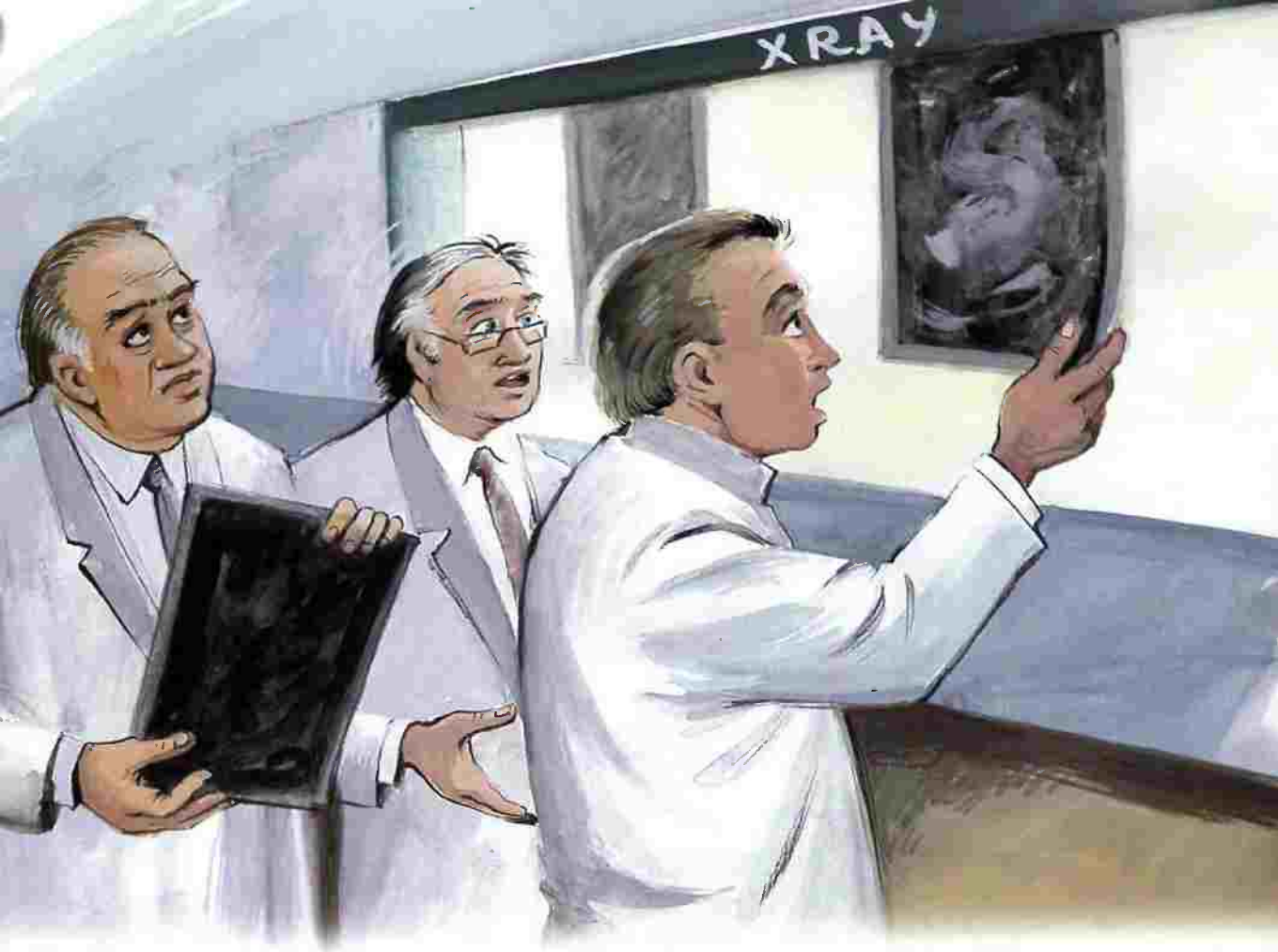

وأُجريَتْ كُشُوفٌ جَديدةٌ، وأشعَّةٌ جَديدةٌ، ومَناظيرُ طبيَّةٌ، وكانَت النتيجةُ هِيَ نفسُ النَّتيجةِ، زالَ المرَضُ منْ جسمِ الحاجِّ سَيِّدْ بمعجزةٍ إلهيَّةٍ لا يملكُونَ تفسيرَها..

وعندما تمَّ إبلاغُ الحاجِّ سيِّدْ وولدِه «حُسام الدِّين» منْ قبل الدُّكتور «جيمس فيلد» وهُوَ فى غايةِ السَّعادةِ والاستبشارِ؛ كانتِ الفرْحةُ الكُبْرى، وعدمُ التَّصديقِ فى بادئِ الأمْرِ، ثُمَّ تلتْهَا دُمُوعٌ مُنهمرةٌ منْ قبلِ الحاجِّ سيِّد ونجْلِه وهُما يتمتمانِ: الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ..الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .. يا أكْرمَ منْ سُئِلَ .. لكَ الحمدُ والشُّكرُ ..

وأكَّدَ الحاجُّ سيِّد أنَّهُ منْ قبلِ أنْ يُغادرَ القاهرةَ ويركبَ طائرتَهُ وهُو ما عادَ يشعرُ بأيَّةِ آلامٍ أوْ أعْراضٍ كانَ يشعرُ بها منْ قبلُ، وقدْ ظنَّ أنَّ ذلكَ منْ رهْبةِ الرِّحلةِ وأنَّهُ قدْ لا يرْجعُ منْهَا ثانيةً وهُوَ منْ عدادِ الأحياءِ ..

وصاح الدكتور «جيمس فيلد» إنها لمعجزة حقا .. ولكن كيف حدثت؟

ثم ذهب مسرعا يخبر هاتفيا صديقه الدكتور يوسف عامر بالقاهرة .. وفى نفس اللحظة مرت أمام خيالات الحاج سيد صورة تلك الأرملة الفقيرة التى قابلها عند محل جزارة المعلم برعى، وقدم لها ما قدم، وهى تدعو له بالصحة وأن يكفيه الله شر المرض .. وهنا انعدمت من أذنيه كل أصوات من حوله، وسمع بوضوح صوت هاتف، وتخيل أنه صوت النبى محمد صلى الله عليه وسلم يقول: «داووا مرضاكم بالصدقة .. داووا مرضاكم بالصدقة ..».

وانهمرتْ الدُّموعُ من عينى الحاجّ سيِّد، وخرَّ على الأرْض ساجداً وهوَ يصيحُ:

-صدقْتَ يا رسُول الله

..صدقْتَ يا حبيب الله ..

أمرتنا فلبَّينا .. ووعدْتَ فصدقْتَ ..

وطوال لحظات سجُود الحاجّ سيِّد ظلَّ صوْتُ الهاتف مُستمرًا فى أذُنيْه ..

وقلْبُه داعيًا ..

اللَّهمَّ قوِّ إيمانى